

تصدير

بقلم د. عاطف العراقي

هذا الكتاب من حيث موضوعه، يعد من الكتب المهمة في مجال الفكر الفلسفي الإسلامي، وقد بذل فيه باحثنا الدكتور مجدى رياض جهداً واضحاً وخاصة إذا وضعنا في الاعتبار كثرة الدراسات التي تناولت فكر ابن تيمية في العديد من البلدان العربية والإسلامية والأوروبية، بالإضافة إلى الاختلافات العديدة من جانب عشرات الدارسين والمؤلفين حول فكر ابن تيمية، ليس في زماننا الحاضر فحسب، بل منذ قرون عديدة فكم أثارته آراؤه الجدل والحوار والاتفاق معها تارة والاختلاف تارة أخرى.

هذا إن دلنا على شيء، فإنما يدلنا وبالدرجة الأولى على ثراء فكر ابن تيمية، وأن فكره يعد ثرياً ومتحركاً، وليس من نوع الفكر الساكن والمغلق حول نفسه.

نقول هذا وبصرف النظر عن اختلافنا مع ابن تيمية سواء من حيث المنهج الذى ارتضاه لنفسه، أم من حيث الآراء التى ذهب إليها فى العديد من كتبه ورسائله أم فى العديد من الفتاوى التى ذهب إليها. إن فكر ابن تيمية يعد فكراً باقياً ومستمراً ودليلنا على ذلك مئات الدراسات التى صدرت عن هذا الرجل وعن أفكاره، وهذه الدراسات لا تعد بالضرورة قائمة على الخلاف مع هذا الرجل، بل منها ما يقوم على أساس الدفاع عن كثير من الآراء التى ذهب إليها.

من هنا كانت سعادتنا حين أقدم الدكتور مجدى رياض على دراسة موضوع الوجدانية عند ابن تيمية، فإنه موضوع - كما أشرنا - يعد على درجة كبيرة من الأهمية ودراسته ستؤدى إلى الكشف عن جانب من الآراء التى ذهب إليها ابن تيمية وخاصة أن ابن تيمية كان غزير الكتابة والتأليف. لقد ترك لنا آلاف الصفحات التى تضمنتها كتبه ورسائله والتى لا حصر لها، وهى جديرة بالدراسة فى كل زمان وكل مكان، ولم لا؟ والاختلاف عادة من طبيعة الفلاسفة والتفلسف، كما أنها تكشف عن فكر مفتوح وليس عن فكر منغلق على نفسه.

وقد قسم الدكتور مجدى رياض دراسته، والتى يقدمها اليوم للطبع والنشر إلى مجموعة من الفصول والأبواب، والتى تتضمن العديد من العناصر والأقسام والنقاط والجزئيات، وقد نجح فى الربط بين موضوع كل باب وكل فصل، والعناصر التى قام بدراستها داخل إطار كل باب وكل فصل من فصول كتابه، وهذا يدلنا على أن باحثنا استطاع التوصل إلى فهم آراء شيخ الإسلام ابن تيمية، فهماً جيداً.

ونظراً لأن دراسة آراء كل مفكر لا يمكن فهم حقيقتها وسبر أغوارها إلا بدراسة ظروف البيئية التى عاش فيها هذا المفكر أو ذاك من المفكرين فى كل زمان وفى كل مكان، فقد حاول المؤلف دراسة نشأة ابن تيمية وثقافته وتأثير الظروف السياسية فيه وتكوينه الفكرى وشيوخه وسماته الشخصية والثقافية، مع الإشارة إلى بعض مؤلفاته وإنتاجه العلمى والفكرى، كما أشار إلى المحن التى واجهها ابن تيمية حتى وفاته. وقد اجتهد المؤلف فى دراسته لهذه الجوانب، كما كانت له شخصيته فى البحث والدراسة، ودليلنا على ذلك أنه يلجأ إلى المناقشة والمقارنة والموازنة بين العديد من الآراء التى قيلت

حول هذه الجوانب الخاصة بابن تيمية، وهذا يعد شيئاً متوقعاً من جانب المؤلف، وخاصة أننا نجد - وكما سبق أن أشرنا - العديد من الآراء حول الرجل وفكره والتي إذا اتفقت تارة، فإنها سرعان ما تختلف تارة أخرى. وقد انتقل باحثنا ومؤلفنا من دراسة الحياة الاجتماعية والفردية الخاصة بابن تيمية إلى دراسة منهج الرجل في مجال مذهبه في الوجودانية، وهو الموضوع الرئيسي لكتابه وذلك حين تحدث الدكتور مجدى رياض عن التزام شيخ الإسلام بالكتاب والسنة، وعن دور العقل عنده، وفكرة التأويل عند ابن تيمية، وأيضاً موقفه من القياس، منتقلاً من ذلك إلى دراسة الجانب النقدي عند شيخ الإسلام ابن تيمية، كمنقده لعلم الكلام والفلاسفة وأهل التصوف. وكل هذا يعد جانباً من جوانب فكر ابن تيمية، وهو الجانب النقدي، أى موقفه من الآراء التي قيلت، والمذاهب الفكرية التي تصدى لها، أما الجوانب الإيجابية عند ابن تيمية - أى الآراء التي قال بها شيخ الإسلام - فقد قام الباحث بدراستها من خلال عدة فصول من فصول كتابه فقد درس المؤلف موضوع الأدلة على وجود الله تعالى التي ذهب إليها ابن تيمية، وكيف أن ابن تيمية عوّل بالدرجة الأولى على الأدلة القرآنية وذلك طبقاً لمنهجه الذى ارتضاه لنفسه.

أما موضوع الصفات الإلهية، وعلى رأسها صفة الوجودانية لله تعالى، فقد خصص لها الباحث أكثر صفحات كتابه، وغير خاف علينا أن مفكرى الإسلام والعرب، إذا كانوا قد اهتموا بموضوع الصفات، الصفات الإلهية، إلا إن تركيزهم كان بالدرجة الأولى على صفة الوجودانية. نجد هذا عند المتكلمين من أمثال المعتزلة والأشاعرة، وليس أدل على ذلك من أن المعتزلة - على سبيل المثال - إذا كانوا قد قالوا بالأصول الخمسة، التوحيد والعدل

والوعد والوعيد والمنزلة والمنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلا إن تركيزهم كان بالدرجة الأولى على صفتي التوحيد والعدل، فهما قد تفرع عنهما العديد من الفروع المهمة كالذات والصفات والرؤية والقضاء والقدر.. إلى آخر هذه الجوانب والمشكلات التي اهتم بها دارسو الفكر الإسلامي. وهذا يقال أيضاً على الفلاسفة وعلى الصوفية، وأعلى مقام عند الصوفية، هو مقام التوحيد والعرفان.

من هنا كان منطقياً أن يركز باحثنا على موضوع الوجدانية بصفة خاصة وذلك في دراسته عن ابن تيمية. لقد درسها من كافة الزوايا والمجالات والأبعاد معتمداً في ذلك على العديد من المصادر والمراجع المهمة. لقد درس باحثنا أدلة القرآن الكريم على وحدانية الله تعالى، وتوحيد الألوهية وتوحيد الربوبية عند ابن تيمية، ونقده للصوفية وللمتكلمين والفلاسفة في هذا المجال، مجال التوحيد، وهو الموضوع الرئيسي للكتاب.

محور الكتاب - إذن - هو تحليل أبعاد الوجدانية عند ابن تيمية وذلك من خلال كتاباته ورسائله وكتبه، كتب ابن تيمية.

وكان باحثنا أميناً في دراسته، وذلك حين قدم لنا ثبوتاً بالنص والمراجع التي اعتمدها عليها في بحثه ودرسته لموضوع الوجدانية عند ابن تيمية، وذلك حتى يمكن للباحثين والدارسين في مستقبل أيامنا دراسة المزيد من تحليلات ابن تيمية لموضوع الوجدانية، ودرسته لمجموعة المسائل الأخرى التي تتعلق بالوجدانية من قريب أو من بعيد.

لقد بذل باحثنا الدكتور مجدى رياض جهداً واضحاً في دراسته، ونقول، ونكرر القول بأن الاختلاف في الرأي من طبيعة الفكر، والفلسفة والتفلسف، بل من أهم خصائص الفكر البشرى الفلسفى، وإذا كنا لا نجد ورقة من أوراق

الشجر تتطابق تمام المطابقة مع ورقة أخرى، ولا نجد بصمة من البصمات تتطابق تمامًا مع بصمة أخرى من بصمات بنى الإنسان في كل زمان وكل مكان، فإنه من الضروري إذن، ومن المنطقي، ومن المتوقع، أن تختلف الآراء وتتعدد وتتنوع في مجال الفكر البشرى عامة، وما تعلق منه بالفلسفة على وجه الخصوص. نقول هذا حتى نبرر اختلافنا مع المؤلف في بعض الآراء التي ذهب إليها.

إننا نقدر للدكتور مجدى رياض تصديه لدراسة هذا الموضوع المهم من الموضوعات التي تدخل دخولاً مباشراً في مجال الاهتمام بفكر ابن تيمية وخاصة أن مؤلفنا كان له وجهة نظره، كما أنه قدم لنا قائمة بعض مؤلفات ابن تيمية وبعض الدراسات التي اهتمت بفكره من قريب أو من بعيد. ونرجو لباحثنا الدكتور مجدى رياض كل توفيق في دراساته القادمة، فهو باحث يستحق كل ثناء وكل تقدير.

والله هو الموفق للسداد

عاطف العراقي

مقدمة

الوحدانية هي رأس العقيدة وقيمتها وهي أعلى وأهم جزء في عقيدة المسلم، فهي الشق الأول من الشهادة، والشهادة هي الركن الأول في الإسلام، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بُنِيَ الإسلام على خمس، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان وحج البيت»^(١).

وما من نبي أرسله الله سبحانه وتعالى إلا أرسله بالوحدانية وشهادة أن لا إله إلا الله، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾^(٢).

وقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(٣).
وكلمة لا إله إلا الله هي أفضل كلمة قالها الأنبياء لأممهم، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له»^(٤).

(١) السيد سابق - فقه السنة - الجزء الثالث، مكتبة الآداب - الطبعة الأولى - القاهرة ١٣٦ هـ، ص ٢٠٧ والحديث رواه البخاري ومسلم.

(٢) سورة الأنبياء - الآية ٢٥.

(٣) سورة الأنبياء - الآية ١٠٨.

(٤) ابن عطاء الله السكندري - الله القصد النجود في معرفة الاسم المفرد، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، ص ١٠، والحديث رواه الإمام أحمد والترمذي.

فكلمة لا إله إلا الله وهى كلمة التوحيد تُخرج قائلها من معسكر الكفر والإلحاد والشرك إلى معسكر الإيمان والتوحيد والإخلاص ، فى التى تميز المسلم عن الكافر وتميز الموحد عن المشرك .

وتبدأ الكلمة بحرق نفى «لا» فتنفى جميع الآلهة عدا إله واحد هو الحى الذى لا يموت ، وتبدأ الجملة بالنفى وذلك لتفريغ القلب مما سوى الله ثم الاستعداد للامتلاء بنور الله تعالى وتوحيده .

ولذلك فإن موضوع «الوحدانية» هو أهم الموضوعات الذى يهتم به كل إنسان مسلم عامة ، ويهتم ببحثه ودراسته الباحثون والمفكرون على وجه الخصوص .

ومن أمثلة تلك الدراسات عن الوحدانية «الله القصد المجرد فى معرفة الاسم المفرد» لابن عطاء الله السكندرى ، و .. معنى لا إله إلا الله «للزركشى» ، وكتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وأيضاً «رسالة التوحيد» للإمام محمد عبده .

ونجد عصر شيخ الإسلام ابن تيمية يمتلئ بالبدع والمنكرات وأهل الشعوذة من الصوفية ، واتجاه الناس للتوسل بغير الله سبحانه وتعالى ، مما جعل شيخ الإسلام ابن تيمية يتصدى لكل هذه البدع التى انتشرت فى عصره .

وموضوع «الوحدانية عند ابن تيمية» هو موضوع مهم بحث فيه شيخ الإسلام ابن تيمية وتطرق إليه سواء فى نقده لسابقه من علماء الكلام والفلاسفة والمتصوفة أم أهل الديانات الأخرى مثل المسيحية ، أم من خلال آرائه فى وحدانية الأسماء والصفات وأدلته على وجود الله سبحانه وتعالى أم آرائه فى التوحيد وتفرقة بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وعدم التوسل بغير الله سبحانه وتعالى وأدلته على وحدانية الله سبحانه وتعالى .

وقد اهتم شيخ الإسلام ابن تيمية بعقيدة المسلم الصحيحة فكتب في هذا المجال مؤلفات كثيرة يجيب فيها عن أسئلة الناس في هذا المجال، فكتب «العقيدة الواسطية» إلى أهل واسط، وشرح «العقيدة الأصفهانية» يشرح فيها العقيدة الأصفهانية لأهل أصفهان، وكذلك كتاب «التوحيد».

وقد التزم شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاباته عن الوجدانية كما التزم في جميع كتاباته بالقرآن والسنة، فنجده دائماً يستشهد بآيات القرآن الكريم وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، هذا إلى جانب التزامه بالمنهج العقلي وإن كان العقل عنده تابعاً للنقل من الكتاب والسنة، وهذا لا يعيب العقل حتى لا يخرج عن دائرة الدين الصحيح.

وقد تناول كثير من الباحثين جوانب من فكر ابن تيمية مثل: التأويل عند ابن تيمية والأخلاق عند ابن تيمية وموقف ابن تيمية من الصوفية، ولكننا نجد أن موضوع «الوجدانية عند ابن تيمية» يعتبر موضوعاً مهماً وموضوعاً جديداً، حيث لم يتناوله الباحثون بهذا الشرح والتفصيل.

والمنهج الذي يسير عليه الكتاب هو المنهج التاريخي التحليلي النقدي المقارن، فهو تاريخي لأنه تناول حقبة تاريخية دينية فكرية كان لشيخ الإسلام ابن تيمية دور بارز فيها، وهو تحليلي حيث أقوم بتحليل نصوص ابن تيمية الدينية الفكرية حول موضوع الوجدانية ومقارنته بكل من عاصره من المفكرين وتأثيره فيمن جاء بعده، وهو نقدي مقارن لأن شيخ الإسلام ابن تيمية قام بنقد آراء المفكرين الذين عارضوه في أفكاره، سواء كان هؤلاء مفكرين من الفلاسفة أم من علماء الكلام مثل: المعتزلة والأشاعرة أم من الصوفية، ثم بعد ذلك قيامي بنقد آراء شيخ الإسلام ابن تيمية أو المذاهب الأخرى التي قام بنقدها شيخ الإسلام. وقد قمت بوضع بعض الفروض

للكتاب حيث حاولت الإجابة عنها من خلال فصول الكتاب مثل:

- ١ - تأثير حياة شيخ الإسلام ابن تيمية فى فكره.
- ٢ - المنهج الذى سار عليه شيخ الإسلام ابن تيمية فى موضوع الوجدانية والتزامه بالكتاب والسنة.
- ٣ - التزامه بالمنهج العقلى فى كتاباته عن الوجدانية.
- ٤ - أدلة شيخ الإسلام ابن تيمية على وجود الله سبحانه وتعالى وعلى الوجدانية.
- ٥ - تأثر شيخ الإسلام ابن تيمية بشيوخه السابقين وتأثيره فىمن عاصره أوجاء بعده من المفكرين.

□□□